An-Najah University Journal for Research – B
Humanities
مجلة جامعة النجاح للأبحاث – ب
العلوم الإنسانية

Historical Criticism According to Abu Ali Ahmad bin Muhammad Bin Yaqoub Miskawayh 320-421 AH / 932-1030 AD: His Book the Experiences of Nations and the Succession of Desires is an Example

Mamdouh Gh. Barry[1,*] & Adnan Melhem[1,2]
Received: 5th Jan. 2024, Accepted: 18th Aug. 2024, Published: 1th Apr. 2025. DOI: 10.35552/0247.39.4.2333

Abstract: Objectives: There are many references that specialize in Miskawayh's moral philosophy, especially books, as well as precise and specialized research, while we did not find this interest among researchers in the subject of historical criticism at Miskawayh, except for a few published and peer-reviewed scientific researches, which covered limited aspects about his approach to writing history, and his style in recording the narratives of the first sedition was absent from them, especially during the reign of Othman bin Affan, and what happened during the reign of Ali bin Abi Talib, as well as Muawiyah bin Abi Sufyan, and did not shed light on his approach when dealing with the personality of Omar bin Al-Khattab, and his role in the wars of apostasy and conquests, and Miskawayh was distinguished from others in recording the movement of the conquests of Persia. **Methodology:** Previous studies did not address the historical method of Miskawayh in depth, but rather it was more like a quick browse that included analyzing the contents of the indexes of the volumes of his book Experiences of Nations, and regurgitating the introduction that Miskawayh wrote, in which he had talked about the reasons for writing his book, which put the researcher in front of a real challenge, pushing him to re-read the material again, sort out everything related to the historical criticism method of Miskawayh, transcribe its contents onto papers, re-read it again, and re-classify and categorize it, so that this contributed to forming a backbone that shows everything that distinguished Miskawayh in terms of historical criticism, and comparing it to other methods and approaches, especially the historical documentation method of al-Tabari. **Results:** The contents of his book, The Experiences of Nations, indicate that he did not mention anything about the origin of creation, and began his book by mentioning the history of the Persian state of Vishdadin, and was interested in Persian culture, and did not expand on the history of early Islam except with what is related to the history of Persia, and was interested in the history of the messengers and kings, and did not mention anything about the miracles and policies of the prophets, so he was satisfied in the prophetic era with mentioning the battles of Hunayn and the Trench.

Keywords: Maskawiyeh, His Historical Method, His Writing of History, Persia, The Buyid State.

النقد التاريخي عند أبو عَلي أَحمَد بِن مُحَمَد بِن يَعقوب مِسْكَوَيْه 320-421هـ / 932-1030م: كتابه تجارب الأمم وتعاقب الهِمَم أنموذجاً

مَمدوح بّري[1،*]، وعدنان ملحم[1،2]
تاريخ التسليم: (2024/1/5)، تاريخ القبول: (2024/8/18)، تاريخ النشر: (2025/4/1)

الملخص: أهداف الدراسة: كَثيرة هيَ المَراجِع الَتي اختَصَت بالفَلسَفة الأخلاقية عِندَ مِسكَويه، سيَما الكُتُب، وَكَذلِكَ الأبحاث الدَقيقة والمُختَصة، في حين لَم نَجِد هذا الاهتِمام لدى الباحثين بمَوضوع النَقدِ التاريخي عِندَ مِسكَويه، سُوى القَليلِ مِن الأبحاثِ العِلميَةِ المَنشورَةِ والمُحَكَمة، التي غطت جوانب محدودة حول منهجه في كتابة التاريخ، وغاب عنها أسلوبه في تدوين روايات الفتنة الأولى، سيما في عهد عثمان بن عفان، وما جرى في عهد علي بن أبي طالب، وكذلك معاوية بن أبي سفيان، ولم تسلط الضوء على منهجه خلال تناول شخصية عمر بن الخطاب، ودوره في حروب الردة والفتوحات، وتميز مسكويه عن سواه في تدوين حركة فتوحات بلاد فارس. **منهج الدراسة:** لم تتناول الدراسات السابقة المنهج التاريخي عند مسكويه بعمق، بل أشبه بتصفح سريع اشتمل على تحليل مضامين فهارس مُجلدات كتابه تجارب الأمم، واجترار المقدمة التي وضعها مسكويه، وكان قد تحدث فيها عن أسباب تدوين كتابه، مما وضع الباحث أمام تحدي حقيقي، دفعه نحو اعادة قراءة المادة مجدداً، وفرز كل ما هو مرتبط بمنهج النقد التاريخي عند مسكويه، وتفريغ مضامينها على أوراق، واعادة قراءتها مجدداً، واعادة تصنيفها وتبويبها، بحيث أسهم ذلك في تكوين عمود فقري، يبين كل ما تميز به مسكاويه على صعيد النقد التاريخي، ومقارنته بمناهج وطرائق أخرى، سيما منهج التدوين التاريخي عند الطبري. **نتائج الدراسة:** تشير مضامين كتابه تجارب الأمم إلى أنه لم يذكر شيئاً عن نشأة الخليقة، وابتدأ كتابه بذكر تاريخ دولة الفيشداذين الفارسية، واهتم بالثقافة الفارسية، ولم يتوسع في تاريخ صدر الإسلام إلا بما هو مرتبط بتاريخ بلاد فارس، واهتم بتاريخ الرُسل والملوك، لم يذكر شيئاً عن معجزات وسياسات الأنبياء، لذلك اكتفى في العصر النبوي بذكر غزوتي حنين والخندق.

الكلمات المفتاحية: مسكاويه، منهجهُ التاريخي، تدوينه للتاريخ، بلاد فارس، الدولة البويهية.

1 Department of History, An-Najah National University, Nablus, Palestine.
*Corresponding author email: mb_a_1982@hotmail.com
2 E-mail: melhem@najah.edu

1 قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
* الباحث المراسل: mb_a_1982@hotmail.com
2 البريد الالكتروني: melhem@najah.edu

النّقدِ التاريخي عِندَ مِسكَويه

تمهيد

تَزامَنَ مَولِد مِسكَويه (320هـ/ 932م) مَع تَصاعُد دَورِ آلِ بُوَيه في بَلاطِ الدَولَةِ العَباسيَةِ، بَل تَناغَمَ عُمرَهُ العَمَلي وَنَشاطَهُ الفِعلي مَع تَوَلي آلِ بُوَيه زِمامَ السُلطَةِ السياسيَةِ في بَغدادَ والرَيِ وَأَصفَهانَ عام 334هـ (مسكويه، تجارب الأمم، 1/ 37، ص27-30).

كَانَت وَفاتُهُ 421ه مُتَناغِمة مَع تَراجُعِ وَانهِيارِ نِفوذِ آلِ بُوَيه في العَصرِ العَباسي مُنذُ 447هـ/1055م، تِلكَ العائِلَةِ الّتي تَعود جُذورَها إِلى قَبائِلِ الدَيلَم الّتي انتَشَرَت جَنوبِ غَربِ بَحرِ قَزوين، وَهيَ قَبائِل شيعِيَة زَيدية، بَدَأَت تَتَوَسع حَتى تَمَكَنَت مِنَ السَيطَرَةِ عَلى حَواضِرِ خَرَسان وَفارِس، وَكَذلِكَ المَناطِق الغَربِيّة المُحاذِيَّة لِبِلادِ فارِس، بِما فيها العاصِمة بَغداد (334هـ-454هـ/ 934م-1062م).

بَلَغَت مؤَلفات مِسكَويه خَمسة وثلاثينَ كِتاباً، وَمِنها كِتاب "تَجارُبِ الأُمَمِ وَتَعاقُبِ الهِمَمِ"، ويتحدث فيه عن التّاريخ العام، وَيُرَكِز عَلى تاريخِ بِلادِ فارس، وكانَ قَد انتهى مِن تأليفه في حِدودِ عامِ 372هـ (القطفي، أخبار العلماء، ص217؛ أنظُر أيضاً: القيسي، الفكر التاريخي عند مسكويه، 2002م، ص266).

كانَ قَد كَلَفَه عَضُد الدولَةِ قَبل وَفاتِهِ بِتأليفِ كِتابِ "تَجارُبِ الأُمَمِ وَتَعاقُبِ الهِمَمِ" عام 371هـ/982م، وَأَكمَلَهُ بَعدَ وَّفاة العاضِد في عامِ 372هـ/983م، كَتَبَهُ بِحُريَةٍ واضِحة، وَتَحَدَثَ فيهِ عَن فَتَراتٍ تاريخيَةٍ عِدة، وَتَحَدَثَ عَن أُمَراءِ البَيتِ البوَيهي، وَتَوَقَف عِندَ تاريخِ عام 369هـ (مسكويه، مصدر سابق، 53/1).

تَميزَ كِتابُ تَجارُبِ الأُمَمِ وَتَعاقُبِ الهِمَمِ بِمِحتواهُ الّذي تَضَمَنَ مادَةٍ في التّارِيخِ الإِنساني، سيَما كُل ما يَخُص الفُتوحات العَرَبية الإِسلامية في العِراقِ وَبِلادِ فارِس، وَيَخَتَص في تاريخِ إيرانِ وَبَغدادِ، وَتَضَمَنَ جانِب مُهم مِنَ العَصرِ العَباسي، سيما عَهد بَنو بوَيه.

أَخَذَ عن تاريخ مِسكَويه كُلاً مِن المَوَردي (ت450هـ/1058م) والغَزالي (ت505هـ/1111م)، وَلَم يَهتَم المُحدَثين بِكُتُبِهِ، وَمِن بَينِها تَجارُب الأُمَم، إِلا في حُدودٍ كَونِهِ يُوَثِق تاريخ العَرَب وَالمُسلِمين (أركون، نزعة الأنسنة، ص100)، جَرَت تَرجَمَة هَذا الكِتاب على يَد المُستَشرِق - ديفيد صموئيل مَرجليوث - كَانَ الهَدَف مِنها التَوَصُل إِلى مَعلومات وَمَعارِف، وَاكتَفى بِذِكر بَعضِ المَبادئِ المَنهَجيَةِ، وَلَفَتَت – مَرجليوث - الانتِباه إِلى ما فيه مِن تَوَجُهٍ فَلسَفي، وَأَهمَلَت البُعدِ التاريخي (المرجع نفسه، ص101).

تَعودُ بِنا هَذِهِ الدِراسة إِلى ذَروَة القَرن الرابِع عَشَر للميلاد، وَنَتَحَدَث فيها عَن فَتَرَةٍ مُهِمة في التاريخِ الإِسلامي، تُعتَبَر احدى أَهَم عُهودِ العَصرِ العَباسي في بَغدادَ، تَخَلَلَها عِدَة أَحداثٍ وَتَطَوراتٍ سياسيَة وَمَذهَبية كَبيرَة، كانَ لَها عَظيمُ الأَثَرِ في تَطَوُرِ وَازدِهارِ مدارك النَقدِ التاريخي عند مسكويه.

بَرَزَ في تِلكَ الفَتَرَةِ طِرازاً رَفيعاً مِن النُخبَةِ الأُرستُقراطيَةِ وَمَجالِس وَصالوناتِ العِلمِ وَالآدابِ وَالشِعرِ وَالتاريخِ وَالفَلسَفَةِ، وَأَسهَمَت عِدَة ظروف في بُروزها، مِنها ما هُوَ شَخصي يَعودُ إِلى طَبيعَةِ الأُسرَة والمُجتَمَع وَالتَجرُبَة الّتي عايَشَتها نُخبِ تِلكَ الفَتَرَةِ، وَبَعضُها مُرتَبِطٌ بالبيئَةِ الاجتِماعِيَةِ وَالسياسيَةِ وَأَنماطُ العَمَلِ وَالدِراسَةِ.

لَقَد صَقَلَت هَذِهِ البيئَةِ مُجتَمِعة شَخصيةِ وَفِكر أَبو عَلي أَحمَد بِن مُحَمَد بِن يَعقوب مِسكَويه 320-421هـ/932-1030م، وَنَحنُ هُنا نَتَحدث عن مؤَرِخاً وفيلسوفاً يَحمِل رِسالة عَبَرَ عَنها في مُتونِ مؤلفاته، وأهمها تجارب الأمم، وعكست سيرَة حَياتِه وَعُلومِهِ وَصِفاتِه وَمَصادِر معلوماته، وَتَحمِلُ رواياته الكَثيرَ مِن مَظاهِر المُجتَمَعِ وَنِظامِ الحُكمِ في بَغدادَ وَمُدُنِ بِلادِ فارِس، سِيَما أَصفَهانَ والرَي خِلالَ عَهدِ بَنو بُوَيه.

رغم أنه استطاع أَن يُطَوِرَ مَدرَسَة التَدوين وَالنَقدِ التاريخي، بِحيث تَمَيَزَت عَن تِلكَ التَقليديَة الّتي عُرِفَت مُنذُ القَرنِ الثّاني لِلهِجرَةِ، إِلا أنه لَم يَحصُل عَلى ذَلِكَ الاهتِمام في الثَقافَةِ العربية الإِسلامِيَةِ، وَتَجاهَلتهُ عَن قَصد أَو بِدونِ قَصد، رُغمَ ما تَرَكَهُ مِن تُراثٍ ثَقافي طَويل.

بيئته ومكانته العلمية

تشير مصادر مسكويه المعرفية، والبيئة العلمية التي اختلط بها والمكانة الرفيعة التي احتلها إلى طبيعة شخصيته كمؤرخ، لذلك اعتبره – القطفي- من كبارِ فُضَلاءِ العَرَب ومِن أَجِلاءِ الفُرس، له مُشارَكة حَسَنة في العلوم والآداب والشِعر، وَلَهُ مُناظَراتٍ وَمُحاضَراتٍ وَتَصنيفات (القطفي، أخبار العلماء، ص217)، وهو المؤرخ والفيلسوف، والطبيب وَالشاعِر، وَعالِم المَنطِق والميتافيزيقا واللاهوت وَعالِم النَفس والكيمياء (الجابري (2001م)، حياة مسكويه، ص406؛ قويدر، بشار، مناهج التاريخ، ص55).

دَرَسَ المنطِق والفَلسَفة على يَد يَحيى بِن عُدَي (ت364هـ/974م)، والحَسَن بن سِوار بِن الخَمار (ت407هـ/1017م)، ويُعتَبَر يَحيى بن عُدي تَلميذاً لِلفَارابي (ت339هـ/950م) وَهوَ مُتَرجِم مِنَ السِريانية إِلى العَرَبية، وَشارِح أَعمال أَرُسطو (القطفي، مصدر سابق، ص108، ص246)، وَبالمُناسَبة هو مَسيحي، يَعني ذلك لنا أن مِسكَويه عَبر يِحيى بِن عُدَي أُتيحَ لَهُ الاطِلاع على ثَقافة الأَخر، وأَسهَمَ في تَوَسُعِ مَدارِكَهُ وَأَتاحَ لَهُ فَضاءاتٍ أُخرى.

وتعلم النحو واللغة العربية على يد وَأُستاذَهُ أبو علي الفارسي (377هـ/987م) (الخونساري، روضة الجنات، ص254)، وعاصر البيروني (ت440هـ/1048م)، والصاحب بن عباد (ت385هـ/955م)، والقاضي عبد الجبار (ت415هـ/1025م)، وأبو طالب المكي (ت377هـ/996م)، وأبو الحسن العامري (ت381هـ/992م)، وإِخوانُ الصفا (ت395هـ/1006م) (مسكويه، مصدر سابق، 19/1؛ أركون، الاسهام في كتابة الانسانيات العربية في القرن الرابع الهجري: مسكويه الفيلسوف والمؤرخ، 262/9).

وَتَلَقى مِسكَويه شَرح ومُدارَسَة كِتاب الطَبَري في التاريخ على يَد أَحمَد بِن كامِل القاضي (ت382هـ/961م)، وهو تِلميذ الطَبَري، بِمَعنى أَن مِسكَويه أستاذه كان الطبري، تتلمذ عليه بشكلٍ غيرُ مُباشِر (التوحيدي، الإمتاع، ص52، 53؛ الحموي، ياقوت (626هـ)، الإرشاد، ص89، 90؛ أنظُر أيضاً: بدوي، 1963، ص489)، وأَخَذَ عَن ثابت بن سنان (سالم، عبد العزيز، التاريخ والمؤرخين، ص69)، وأتاح له عضد الدولة (ت372هـ/983م) عِندَ بِناء مَشفاهُ الشَهير تَعَلُمِ الطب النظري، وكذلكَ تَعَلَمَ مِن ابنُ العَميد الذي وَصَفَهُ بعلمه وعظمة شَأنِه الأَدَبي والثَقافي (مسكويه، مصدر سابق، 1/50-51 ؛ القطفي، مرجع سابق، ص247).

أَخذَ بعض مَعلوماتِهِ وَمَعارِفِه عَن وَزير مُعِز الدَولة أبو محمد الحسن المُهَلَبي، وعَن وزير ركن الدولة أبو الفضلِ بن العَميد، وأتيح له مُدارَسَة وثائق الدولة البويهية، بِصِفَتِهِ أميناً لِمَكتَبَة الوَزير بن العَميد وَعَضُد الدولة (سالم، عبد العزيز، مرجع سابق، ص71)

اختَلَطَ بِنُخبَةِ الفِكرِ في عَصرِه مِنَ العُلَماءِ وَالأُدَباءِ والفَلاسِفة، كانَ أَبرَزَهُم بَديع الزَمان الهَمَداني (ت399هـ/1008م) وَكانَ بَينَهُما مَوَدة وَصَداقة (الحموي، مصدر سابق، ص496)، وَاختَلَطَ بِأَبي حَيان التَوحيدي (ت414هـ/1023م)، وَهوَ ناقد مُهم، وَتَحَدَث عن مِسكَويه، إِلى جَانِب أَبو سُلَيمان السِجِستاني الفَيلَسوف (429هـ/1038م)، وَأَشهَرَهُم الوَزير راعي العُلَماء أَبو عَبدِ اللهِ بن سَعدان (ت370هـ/985م)، ومن بينهم الوزير والأديب ابن عباد (ت380هـ/995م). وأبو بكر الخوارزمي (ت378هـ/ 993م) (أركون، مرجع سابق، ص137)، نحن نتحدث عن خيرة نخبة عصره وأبرز علماء القرن العاشر للميلاد/ الرابع للهجرة.

وَضَعَهُ التَوحيدي في كِتاب الإمتاع مَع مَجموعة الأَسماء اللامِعة في حِينه، مِثل ابنُ زَرعة (ت399هـ/1008م)، ابنُ الخَمار (ت407هـ/1017م)، ابنُ السِمِح (ت426هـ/1035م)، القوهي (ت405هـ/1014م)، نَظيف (ت375هـ/990م)، يحيى بِن عُدَي (ت364هـ/974م)، وَعيسى بِن عَلي (ت358هـ/968م) (التوحيدي، الإمتاع، ج1، ص32)، وقال فيه أنه شاذ، وفقير بين أغنياء وغني بين أنبياء، وصاحَب ابن العميد أبي الفضل، وأنه كان مشغولاً بِطَلَبِ الكيماء، أَضاعَ وَقتَهُ مَع أَبو الطَيب الكيميائي الرازي، مَفتون بِكُتُبِ أَبو زَكَريا الفَراء (ت215هـ/822م) وَجابِر بِن حَيان (207هـ/ 815م) (التوحيدي، مصدر سابق، 49/1، 50، 51، 57، 105).

مصادره، سيما الطبري

تعددت المصادر التي أخذ عنها مسكويه، نتاج اتساع المعلومات والمواضيع التي كتب عنها، وقرأ أخبار الأمم وسِيَر الملوك وأخبار البلدان، وكُتُب التواريخ، وكتب عنها، ومما أتاح له سعة الاطلاع وجودهُ بين الكُتب والمكتبات في بلاط بنو بويه (مسكويه، المصدر نفسه، 50/1، 59)، وكتب تجارب الأمم وهو على رأس عمله في بلاط العاضد البويهي، وانتهى من تدوين كتابه في عام 372هـ مع أنه عاش حتى عام 421هـ (مسكويه، 52/1).

أورد معلومات واسعة عن تاريخ بلاد فارس (ايران)، منذ العهد الفيشداذي إلى عام 295، لم تتوفر عند الطبري المسعودي وابن الأثير، كان قد حصل عليها من نفائس مكتبات بغداد وأصفهان والري التي كان خازنها في عهد وزراء بنو بويه من أمثال ابن العميد وابنه أبو الفتح وعضد الدولة، سيما مكتبة بغداد التي وصفت بضخامتها وجودة كتبها، وكان أبرز مصادره في تاريخ إيران القديم هو كتاب أنوشروان، فأخذ عنه وصايا الحاكم الفارسي أردشير وأفرد لها الكثير من الصفحات لأهميتها عن سواها (مسكويه، 52/1، 97)، والسيرة الذاتية لأنوشروان (مسكويه، 51/1 – 52).

اعتمد في بعض أخباره عن بنو بويه من مشاهداته التي شاهدها وعايشها خلال قربه من البلاط البويهي حتى عام 369هـ، وبعضها عن معاصريه، سيما بعض رجال دولة بنو بويه مثل أبي الفضل بن العميد، وعن أبي محمد المهلبي نتاج صحبته لهم، وأخذ عن الكثير من مشايخ عصره (مسكويه، 53/1).

اعتَمَد في كِتَابِهِ تَجارُبِ الأُمَمِ عَلى الطَبَري، سِيَما طَريقَتَهُ في الحَوليات، وَتَمَيَزَ عَنهُ بَالحِكَمِ وَالعِبَرِ وَهوَ شَغُفٌ بِالفَضائِلِ وَالبَحثِ في خَفايا السِياسَةِ، وَعِندَ مِسكَويه هامِشٌ مِنَ الاستِمتاعِ بِتَطَوُرِ الوَعيِ التاريخي أَكثَرُ مِما لَدى الطَبَري (مسكويه، المصدر نفسه، 50،60/2، 58؛ أنظُر أيضاً: خالدي، أنور، منهج الكتابة التاريخية، ص144)، مُضطَرِباً في ذِكرِ السَنَواتِ، تَجاهَلَ في تَرتيبَهُ عِدَة سَنَواتٍ، وَمِن بَينِها حادثة مَقتَل مُصعَبَ بِنَ الزُبَيرِ، بِحَيثُ لَم يُنَظِمَهُ بِشَكلٍ دَقيق وِفق طَريقَةِ الحَوليات، وَرَكَزَ عَلى الأَحداثِ الَتي اختارَها (مسكويه، المصدر نفسه، 158/2؛ أنظُر أيضاً: سالم، عبد العزيز، مرجع سابق، ص68).

اهتَمَ بِتاريخِ الرُسُلِ وَالمُلوكِ، وَيُشبِه كِتابَ الطَبَريِ في الكَثيرَ مِن مُحتَواهُ وَمَضامِينَهُ، واحتَوى عَلى مَادَةٍ تَعليمِيَةٍ عَزَزَها بِجَوانِبٍ أَخلاقيَةٍ، وَعَرَضَ فَهمِ المُؤَلِف لِلعَرضِ التاريخيِ، وَاهتَمَ في كِتابَهُ بِأَساليبِ الأَخلاقِ، وَرَكَزَ عَلى السُلوُكِ الاجتِماعي لِلناسِ (سبياستيان غونتر وياسر الجموحي، الفيلسوف والمؤرخ مسكويه، ص426، 464).

أخذ عن الطبري، لكنه حَذَفَ الكثير، سيما المُكَرر وما لم يتفق مع منهجه، وهو يوازي الطبري من حيث الفترة التي بدأ الكتابة عنها، وهي العصر الفيشداذي الفارسي، سيما عهد أوشهنج وما بعد الطوفان، وينتهي في عام 369هـ، بينما ينتهي الطبري في عام 302هـ، وصاغ المؤرخين ما أخذوه عن الطبري بما يتفق من تصوراتهم وطرائقهم في التصنيف، وقدموا الحدث في رواية واحدة مُجَمَعة، وخالية من الإسناد، ولم يعمدوا إلى عرض عدة روايات، وكان أولهم مسكويه، وفعل مثله ابن كثير وابن خلدون وغيرهم الكثير (مسكويه، المصدر نفسه 50/1-51).

لَم يَهتَم بِالتاريخِ الديني، رُغمَ أَنَهُ اعتَمَدَ عَلى الطَبَري، وحَذَفَ الإِسنادَ، واختَصَرَ الرِوايَةَ، وَنَقَحَ الرِواياتِ، وَاستَبعَدَ الضَعيفَةِ مِنها (مسكويه، المصدر نفسه، 50،60/1 ، 63؛ أنظُر أيضاً: قويدر، بشار، مناهج، ص55؛ سالم، عبد العزيز، مرجع سابق، ص101)، بَينَما تَرَكَ الطَبَري الحُكمَ لِلقارِئِ، بَعدَ أَن يَعرِض عِدَة رِواياتٍ مَهما كانَت قُوَتِها وَضَعفِها، وَيُقَدِم الإِسنادَ كامِلاً، وَلا يَختَصِرُ مِنَ الرِوايَةِ (مسكويه، المصدر نفسه، 50/1-51؛ أنظُر أيضاً: سالم، عبد العزيز، مرجع سابق، ص55).

منهجه التاريخي

مبادئه العامة

يَتَمَثَل مَنهَجَهُ بِالمُقارَبَةِ العِلمِيَةِ، يَزِن بَينَ القِيمِ وِالأَحداثِ وِالتِطوُراتِ وِالمَفاهيمِ، اعتمد في منهجه على الحُكمِ حَول كُلِ الأَحداثِ الَتي دَونها في كِتابِهِ تَجارُبِ الأُمَمِ، وكان لا يُدَوِن الأَحداثَ لِلمُتعَةِ وَالتَشويقِ، بَل ما يُفهَم مُحتَواها، وَيُقَدِم ما يَراهُ مُثمِراً وَذاتَ قِيمَةٍ عِلمِيَةٍ يُمكِن أَن يَستَفيد مِنها رِجالُ الدَولَةِ وَالمُوَظَف وَالمُثَقَف (حامد، عائشة، اتجاهات التدوين التاريخي الحولي عند المسلمين، 98/10).

لم يُعَنوِن موضوعات كتابه تحت عنوان - دخلت سنة كذا- في المُجَلَد الأول ونصف المُجَلَد الثاني من كتابه تجارب الأمم، رغم أن عناوينه قد اعتمَدَت على شكل موضوعات مرتبطة بالأحداث، إلا أنه منذ عام ست وثمانون عَمَدَ إلى إدخال التواريخ في عناوين كتابه، وإن كان بشكلٍ متقطع (مسكويه، 256/2)، منذ خلافة يزيد بن عبد الملك (مسكويه، 333/2)، واعتمد ذلك الأسلوب في تدوين العناوين إلى غاية انتهاء العهد الأموي (مسكويه، 584/2)، واصبح بمثابة أسلوبه المعتاد طوال العهد العباسي، باستثناء بعض الأحداث المهمة والنادرة التي عنونها بمواضيع مرتبطة بالأحداث أو الأشخاص أو فيها عبرة وتدبير وحيلة (مسكويه، 3/ 3، 17، 28، 41).

رَغم أَنَ كِتابِ التَجارُبِ بِمَثابَةِ كِتاب حَولي، إِلا أَنَهُ مُرتَبِط بِتَهذيبِ الأَخلاقِ وَالحِكمَةِ الخالِدَةِ، الَتي تَدور حَولَ العِبرَةِ وَالعِظة وَالرَغبَةِ في إِصلاحِ الناسِ وَتَعليمَهُم الأَخلاقِ الحَميدَةِ، مِما يَوحي بِوجودِ وِحدَةٍ عَميقَةٍ بَينَ مؤَلَفاتِ مِسكَويه.

وصفت نَظَريَتَهُ للتاريخ بأنها عَميقة، كَونَهُ مُتقِناً وَيَمتَلِك أُسلوبَاً في تَدوينِ الأَوراقِ، وَذو مَعرِفةٍ بِتَفاصيلِ الجُغرافيا وَالإِحصاءِ المُتاحَ لَها، وَمُتقِناً لِأُمورِ تَنظيمِ الإِدارَةِ الماليَةِ (مسكويه، 43/1، 47)، وَعَلَل دَورِ المُناخ وَالبيئَةِ وَحاجاتِ السُكانِ وَالأَخطارِ وَحاجَةَ الدَولَةِ، وربط كُلَ ذَلِكَ في موضوع العِمران البَشَري وَازدِهار المُجتَمَعاتِ، وَأَثر البِيئَةِ في الأَخلاقِ وَالسُلوكِ، وَأَجرى مُقارَناتٍ بَينَ سِلوكِ الإِنسانَ وَأَخلاقَهُ في مَناطِقِ بيئَةِ البادِيَةِ مِن طَرَف وَالبيئَةِ الثَريَة بِالخَيراتِ وَالمَوارِد مِن غِذاءٍ وَمياهٍ وَسُهولَةِ التَنَقُل، وَنَجِد تَشابُه مَع ما طَرَحَهُ ابنُ خُلدون (808هـ/ 1406م)، وَعَلَلَه مِسكَويه (421ه/ 1030م) عند تناول موضوع نِشوءِ المُدُنِ وَازدِهارِها، وَتَبدو وَفي البِناءِ الاجتِماعي وَالقَبَلي وَالمَعرِفي، وَأَثَرَهُ في استِقرار العِمران، وَتَحَدَث عَن الأَمن وَعلاقَتِهِ في الازدِهار (مسكويه، 95/3، 96، 110؛ ابن خلدون، المقدمة، ص81، 86، 111).

اهتَمَ بِكُلِ ما مِن شَأنِهِ أَن يُسهِمَ في اتِعاظِ الإِنسانِ مِن تَجارُبِ فَرديَةٍ وَجماعيَةٍ، وَذَلِكَ نِتاجُ تَشابُهِ الأُمورِ وَالتَجارُبِ الدِنيَوِيَةِ، لِذلِكَ لَم يُدَوِنَ الأَشياءَ الَتي تَفتَقِدُ لِلدَلالاتِ، وِاهتَمَ بِذِكرِ الحِيَلِ، وَمِن الأَمثِلَةِ على ذَلكَ حيلَةُ ابنِ زيادٍ عِندَ مَوتِ يَزيدَ بِن مُعاوِيَةَ (مسكويه، 60/2، 59. أنظر: حسن عياش، حركات الأحداث في دمشق، ص381).

اهتَمَ في كتابه تجارب الأمم بخصائص النَفسِ البَشَرِيَةِ، وَطَبائِعِ العُقولِ، وَمَلَكاتِ الفِكرِ، وَالأَحداثِ الَتي لِلإِنسانِ فيها حَظٌ أَوفَرِ وَدَوراً مِحوَرياً، وَاعتَبَرَها مَعياراً لِلفَهمِ فيما يَخُص السُلوكِ البَشَري (مسكاويه، 50/1-51 ، ص124، 128،

144)، وَهوَ يعَلَم حَقيقَةَ قُدَراتِهِ وَمَا يَمتَلِكهُ، وَانطِلاقاً مِن كُلِ ما سَبَق، فَأَكَدَ عَلى أَن المؤَرِخ يَجَب أَن يَمتَلِك مَهارَةِ الدِقَةِ، وَمَهارَةِ الحاذِق واسِعِ الاطِلاعِ، سيما تِلكَ العِلومِ الَتي تُنيرَ بَصيرَتُه، إلى جانب مَعرِفَته بطَبائِعِ الناسِ وَسُلوكِهِم، وَكَذلِك أَفعالَهَم وَهيَ مَهاراتٍ تَفوقُ مَهاراتِ مِهنَةِ الطِبِ وَالتَدريسِ أَو صَقلِ وَصِياغَةِ الذَهَبِ.

تُساعِدُنا المُدَوناتِ الَتي تَتَحَدَث عَن تَعاقُبِ الأُمَمِ في مَعرِفَةِ الأَحداثِ، وَتُسهِمُ مَعرِفَة طُرُقِ التَعامُلِ مَعَها وَسَبيلِ استِحضارِ القَواعِدِ المُحكَمَةِ فيها، وَيَلحَظ النَوازِلِ وَالأَخطارَ قَبلَ حُدوثِها، وَيُضاعِف خِبراتِنا (مسكويه، التجارب، 1/48-50).

تضمن كتابه تَجارُبِ الأُمَمِ مادة مُهِمَةٌ للتاريخ البشري، ونَقَلَ فيهِ الأَخبارِ وَالأَحداثِ، وفيه تَجارُبِ السُقوطِ وَعَوامِلِ النُهوضِ، وَقوانينِ التَحالُفِ، وَلَم يَأخُذ فيه بَالقَوانين الَتي تُخالِف العَقلَ، وَلا يوجد فيه شَيءٌ مِنَ عالَمِ الخَيالِ، فَهوَ يؤمِنُ بِالواقِعِ، وَهَذا الواقِعِ يَحتاجُ إلى تَدبيرٍ واعي، وَيَرى أَنَ هَذا العِلمَ يُسهِمُ في مُساعَدَةِ وَلي الأَمرِ وَغُلُوِ الهِمَةِ وَاستِثارَةِ القَريحَةِ، وَوَسيلَةً لِلخَير، وَوَسيلَةً لِمَعرِفَة شَيءٍ مِن المُستَقبَل وَاستِباقِ الأَحداثَ (مسكويه، نفس المصر، 1/48-50).

فَهِمَ الماضي مِن أَجلِ الحاضِرِ وَالمُستَقبَل، لِذلِكَ هُوَ ذُو تَوَجُه استِشرافي، وَكانَ يُكَرِر أَنَ التاريخ يَحتَوي عَلى تَجارُبٍ يَتَكَرَرُ حِدوثِها، وَاهتَمَ بِتَأكيدِ فَكرَةِ التَدَخُلِ الإلهي وَالعَدالَةِ الإلَهيَةِ (سبياستيان غونتر، مرجع سابق).

انتَقَلَ في كِتابِ تَجارُبِ الأُمَمِ مَنَ الاعتِبارِ الإيماني إلى الاعتِبارِ التَجريبي، حَيثُ لَم يَتَحَدَث فيهِ عَن مُعجِزاتِ الأَنبياءِ وَسِياساتِهِم، وَاهتَمَ بِذِكرِ التَدبيرِ البَشَري الخالِص عِندَ الأَنبياءِ، وَبَرَر ذَلِكَ لأَنَ ذِكرُ مُعجِزاتِ الأَنبياءِ والأَساطير مِن شَأنِها أَن تَجعَل أَهلُ كُلِ زَمانٍ لا يَستَطيعونَ أَن يَستَفيدوا مِنَ تَجارُبِهِ، وَلأَنَ طِباعَ الناسِ تَستأنِس وَتَستَمتِع وَتَسمَر مَع الخُرافاتِ وَقِصَصِ الأَساطير وَالخَيالِ، وَلأَنَ التاريخ هُوَ عِلمٌ، وَلا يُعقَل أَن يُختَزَل الهَدَف مِنهُ في القَضاءِ عَلى المَلَلِ وَاستِجلابِ النَومِ والأُنسِ.

عِندَما أَكَدَ مِسكَويه في تَجارُبِ الأُمَمِ عَلى أَنَ التاريخ بِمَثابَة صِناعَة، وَبَينَ أَهَميةِ التَجارُبِ، سِيَما الأَحداثَ الَتي يَتَكَرَر حُدوثِها، مِثل نُشوءِ المَمالِكِ وَأُفولِ دَورِها، واستيعابِ أَحداثِها وَآثارِها السَلبِيَةَ، وَيَعني بِذلِكَ سُنَنِ التَدَرُجِ، مِن حَيثِ الأَحداثِ وَالدُوَلِ وَزَوالِها، تَكَرَر استِخدامِ كَلِماتٍ لَها ارتِباطٍ بِمَفهومِ العِبَرِ وَالعِضاةِ، مِثلِ التَجرُبَةِ وَالإرادة وَالتَدبير وَالتِكرارِ (مسكويه، نفس المصدر، 1/50-51).

اهتماماته

اهتم بتدوين سير ملوك بلاد فارس التي فيها أموراً محمودة ومرضية أو فيها تدبير يستفاد منه، لكنه اكتفى بتدوين أسماء باقي الملوك بالترتيب وبدون سيرهم، لكي يُحفَظ نظام التواريخ (مسكويه، ص108، 61)، ساق تلك السير والروايات التي تميز بها الملوك في مجال الإدارة والترتيب والنظام وتوفير مصادر الرزق لشعوبهم، وممن تميزوا بالبناء والعمران، ومِمَن حاربوا الفساد والرذيلة، وقربوا أهل الصلاح والدراية، وتضمن على تصنيف طبقات المجتمع والصُناع وتطوير نظام الخراج والجباية والبريد والمظالم والعَدل (مسكويه، 1/61)، وَوَصفِ أهم الأعمال التي قد يقع بها الملوك والتي من شأنها أن تَنشُر الوَهَن والضَعف في الدولة والمُجتمع، من قَبيل الانغماس بالمَلَذات وسيادَة الروح الجبرية والكِبَر والتَجَني، والجور والفُجور والعَسَف وتثبيت الضرائب الإضافية (مسكويه، 1/62).

ساق في رواياته تلك الأمور التي تؤدي إلى إعمار البلاد، مثل بناء الحصون وإصلاح مجاري الأنهار والقُنِي، وترميم مخارج الينابيع، وتخفيف الخراج عن كاهل الناس، وبناء المُدن على ضفاف الأنهار وقُرب الينابيع، والاهتمام بالأرياف، وتزويد الكور في الأرياف بأنواع البذور وأصول الأشجار من الجبال، وتطوير أنواع الأطعمة، وتوزيع الغنائم على الجند وعدم حجبها عنهم (مسكويه، 1/69).

وصف ما كان من حروب ومعارك ومؤامرات حول المُلك، وما تخللها من خطط وأساليب قتال، وتحدث فيها عن بطولات، وعن طرق الحشد ومصادر المدد والتموين، وطرق مرور الجيش بين الأقاليم والبلاد، ومناطق نزولها، ومشاهد الاصطفاف في ساحة المعركة، وطرق المناوشة (مسكويه، 1/74-75، 97، 111)، وابدى تحيزاً للفرس في تلك الحروب التي دارت بين الفرس والأتراك والروم والعرب قبل الإسلام (مسكويه، 1/74، 97، 107-108).

تجارب تاريخية وتدابير واختيارات وحِكمة

تمهيد

تَمَيَزَت كُتُبَ التاريخ الكُبرى، مِثلَ تاريخ الطَبَري بِأَنها بَدَأَت حَديثُها عَن مِيثولوجيا الخَلقِ وقِصَةِ أَدَمَ عَلَيهِ السَلام، في حين ابتَدَاءَ مِسكَويه كِتابَهُ عَن الفُرسِ في حُقبَةِ الفيشداذين، وَالكيِيَن والأَشغانيَةِ (مُلوكِ الطَوائِفِ)، وَالساسانِيينَ، مِما يُعطي انطباعاً عِن مُحتُوى الكِتاب بِشَكلٍ عام، قَبلَ البِدءِ في تَصَفُحِهِ وَمُطالَعَتِهِ، وَأَنَ مَضمونَهُ يُوحي إلى مَدى اهتِمامَهُ بِالثَقافَةِ الفارِسيَة، مِما يُؤَكِد ذَلِكَ أَنَهُ لَم يَتَوَسَع في تاريخ صَدرِ الإسلام إلا بِما هُوَ مُرتَبِطٌ بِبِلادِ فارِسٍ، وَفي حينِ تَحَدَثَ في كِتابَهُ عن التاريخ الإسلامي مُنذُ نِهايَةِ النِصفِ الأَوَلِ في المُجَلَد الأَوَل، وَانتَهَت أَجزاءُ الكِتابِ كامِلَةً في مجلده الخامس عِندَ أحداث تاريخ عامِ 369هـ (مسكويه، تجارب، 1/61، 70، 97، 169-189)، وَكَتَبَ فيه الشيء الكثير عن الثلث الأول من تاريخ بَنو بُوَيه (مسكويه، تجارب، 1/61، 70، 97، 169-189).

أفردَ في كتابه تجارب الأمم غالبية المُجَلَد الأول مُناصَفة بين التاريخ الفارسي القديم وَصَدر الإسلام، وَخَصَصَ المُجَلد الثاني كامِلاً للعَهد الأُموي، واحتل العصر العباسي الغالبية العظمى من مادة كتابه، حيث أفرد له المجلدات الثلاث الأخيرة، واختص فترة بنو بويه في العصر العباسي بما يَقرُب من ثلاثمائة صفحة، رغم أننا نتحدث عن فترة هيَ مِن ضِمنِ العصر العباسي، وأنها لم تتجاوز المائة وعشرين عاماً.

نماذج من تاريخ العصور الفارسية القديمة.

يُوَضِح الأُمورَ الَتي يَستَفيدَ مِنها السِياسي في كُلِ عَصرٍ، يَختَصِر مِنَ الأُمورِ الَتي لَيسَ فيها فَائِدَةٍ أَو لا يَذكُرُها، يَهتَم في الأُمورِ الَتي تَحتَوي عَلى لَوائِحِ تَنفيذِيةً لِلحُكامِ وَلِلمُلوكِ، تِلكَ الأَحكامِ واللوائِح مِن فَترَةِ الإسكَندَر المَقدوني في بِلادِ فَارِسٍ أَو الفَترَةِ الساسانِيَةِ وَبَعض الشَيءِ في الفَترَةِ الإسلامِيَةِ (مسكويه، نفس المصدر، 1/97، 129، 130-132)، وَذَكَرَها عَلى لِسانِ أَرسطو وَأَرد شير وَأَنو شَروان، وَمِن بَينِها خُطورَةِ اختيارِ وَزيرٍ غَيرُ لائِق، وَمِن أَمثِلَتِها الظُلمِ الَذي وَقَعَ في فَترَةِ المَلِك دارا داريوس، لِما يُسَبِبَهُ ذَلِكَ مِن ظُلمٍ وَتَسَلُطِ، وَيَنتُج عَنهُ نُفوراً لَدى الناسِ، وَيَنعَكِس عَلى استِقرارِ السُلطَةِ الحاكِمَةِ، وَأَورَدَ مِسكَويه مَشهَد وُقوفِ الأَهالي إلى جانِبِ حَملَة الإسكَندَر المَقدوني عَلى بِلادِ فارِس (مسكويه، نفس المصدر، 1/35)، وَأَورَدَها لأَجلِ الفائِدَةِ، وَاعتَبَرَها ذَاتُ فائِدَةٍ سياسية، وَوَرَدَ جزءاً كبيراً مِنها في المَجَلَدِ الأَوَلِ.

تَوَقَفَ مِسكَاويه مُطَوَلاً عِندَ المَلِك الفارِسي الِذي وَحَدَ بِلادِ فارِس تَحتَ حُكمِهِ، أَلا وَهوَ أَردشير، وَذَكَرَ تِلكَ الوَصايا أَو النَصائِحَ الَتي أَوصى بِها أَردشير لِمُلوكِ فارِسَ مِن بَعدِهِ، وانسجمت مع فكرة كتاب تجارب الأمم الذي صاغه مسكويه، لذلك أفرد لها الكثير من الصفحات، وَتَحَدَثَ فيها عَن كَيفِيَةِ إدارَةِ الدَولَةِ، وَما قامَ بِهِ مِن إجراءاتٍ وَلَوائِحِ سياسيةٍ، وَمَيَزَ بَينَ أَنواعِ المُلوكِ، مِمَنَ وَصَلوا إلى الحُكمِ نِتاجِ جُهدَهُم، ومِمَن ثَبتوا أَقدامَهُم بَعدَ مَخاضٍ طَويل مِنَ السَعي وَالتَفاعُلِ، بَينَما وُصِفَ بَعضُ المُلوكِ مِمَن وَرِثوا العَرشَ عَن أَباءِهِم المُلوكَ، وَنَصَحَهُم لِيَبتَعدوا عَن المَلَذاتِ وَعَن حَياةِ الاستِمتاعِ، لأَنَهُم حَصَلوا عَلى العَرشِ بِدونِ عَناءٍ أَو جُهدٍ، وَلِكَي يَحتَفِظوا بِعُروشِهِم عَلَيهِم أَن يَستَفيدوا

مِن تَجارُبِهِ (مسكويه، تجارب الأمم، 1/97-107؛ صدقي، مقصود، منهج الكتب التاريخية والفكر السياسي، ص9).

يُوصي المَلِك أَردشير للملوك أَن يَتَجَوّلوا بَينَ العَامَةِ، وَيَتَحاوَروا وَيَتَناقَش الوُزَراء وَأَركانِ دَولَتِهِم حَولَ أَحوالِهِم الخَاصة وَأَحوالِ الدَولَةِ وَالمُجتَمَعِ، وَذَلِكَ نِتاج أَنَ بُعضَهُم لا يُفصِح لِلمَلِكِ عَن تَفاصيلِ القَضايا، وَيَتَجاهَلوا الحَديث وَالكَشف عَن بِعضِ الأُمورِ، نِتاجِ تَراكُمِ مَصالِحَهُم (مسكويه، نفس المصدر، 1/59).

يَحُثُهُم أَردشير عَلى تَشجيع الشَعبِ لِلعَمَل، لأَنَ الفَراغ يُوَلِد نَظَر في الأَحوالِ وَتَباغُضِ، وَتَنطَلِق أَبصارَهَم نَحوَ السُلطَةِ وَالحُكامِ، وأَنَ الفَراغ يُوَلِد تَناحُر وَتَطاحُن وَصِراعاتٍ اجتِماعِيَةٍ مُتَعَدِدَةٍ، وَيَنشَغِل الشَعب في الأُمورِ الداخِلِيَةِ، وَيَترُك العَدو الخارِجي (مسكويه، نفس المصدر، 1/97-107؛ صدقي، مقصود، نفس المصدر، ص10).

أَكَدَ عَلى أَهَمِيَةِ التَعامُلِ مَع المُعارَضَةِ، سِيَما تِلكَ الَتي تَتَخِذ الدَين وَسيلَة، فاعتَبَرَهُم بِمَثابَة خَطَر عَلى الدَولَةِ، وَلا يَجِب الاستِهانَة بِمُواجَهَتِهِم، وَعلى الدَولَة أَن تَتَهَمَهُم بِالبِدعَةِ، وَذَلِكَ نِتاج الحَذَر مِن العاقِلِ المَحروم، لأَنَ لَهُ لُعابٍ، وَلأَنَ العاقِل لَهُ لِسانٍ أَحَدُ مِنَ السَيفِ، لأَنَهُ بِالدينِ يَحتَجُ وَيَغضَب، وَلأَنَ المُعارِض العاقِل وَالمُتَدَين لَهُ أَتباعٍ، وَلَهُ مَن يُصَدِقَهُ وَيُناصِحَهُ وَيؤازِرَهُ، وَلِذَلِكَ يَجِب أَن تُسَمومُهُم بِالمُبتَدِعين، لأَنَ هَذِهِ الكَلِمَة تُمَثِل مَقتَل لَهُم (مسكويه، تجارب الأمم، 1/112).

وَحَذَرَهُم مِن المُداهِنينَ وَالمُتَمَلِقينَ، لأَنَهُم يُحارِبونَ الأَخلاقِ وَالفَضيلَةِ، وَيُعيقُونَ الإِصلاح، وَيُعَثِرونَ عَمَلَ مُؤَسَساتِ الدَولَةِ، وَكُلِ بِطانَةٍ لَها بِطانَة، وَهَكَذا (مسكويه، نفس المصدر، 1/97-107؛ صدقي، مقصود، مرجع سابق، ص10).

أَورَدَ مِسكَويه كل ما من شأنه أن يخدم فكرة كتابه في التاريخ، أو سلط الضوء عليها، سيما كل ما فيه نصائح وعِبَر وتجارب وتدابير، لذلك أَورَدَ ما قَدَمَهُ أَرُسطو مِن نَصائِح لِلإِسكَندَر المَقدوني، وَنَصَحَهُ أَن يَعمَل عَلى حل الخِلافاتِ الدَاخِلِيَةِ، عَبرَ تَعيينِ أَولادُ مُلوكِهِم عَلى المُدُنِ المُتَفَرِقةِ، لِما لِذَلِكَ مِن أَثرٍ يُسهِم في السَيطَرَةِ وَالاستِقرارِ في بِلادِ فارِس (صادقي، مرجع سابق، ص8).

تَوَسَعَ في تِلكَ الأُمورِ الَتي تَلزَم الحَاكِم وَتُساعِد في الإِدارَةِ وَتَحقيقِ التَوازُنِ بَينَ الطَبَقاتِ، سِيَما العَسكَريينَ وَالمُنتِجينَ وَالمُستَهلِكينَ، وَيُقصَد بِذَلِكَ أَنَ أَهلُ العِمارَةِ وَالتِجارَةِ وَالزِراعَةِ وَالصِناعَةِ لَهُم حَقٌ عَلى العَساكِرِ وَعَلَيهُم حَق، سيما أَهلُ الخَراجِ، لِما لِذَلِكَ مِن إِسهامٍ في استِمرارِ سَيرِ وَعَمَلِ مُؤَسَساتِ وَوَظائِفِ السُلطَةِ وَالحُكمِ، أَورَدَها عِندَ حَديثَهُ عَن تَدابيرِ المَلِكِ الفارِسي أَنو شَروان (مسكويه، تجارب الأمم، 1/130-132، 140؛ صادق، مقصود، منهج الكتب التاريخية، ص 10).

كيف تناول فتح بلاد فارس؟

لَم يَذكُر مِسكَويه مِن عَصرِ الرَسولِ مُحَمَد صلى الله عليهِ وَسَلَم في البِعثَةِ وَالهِجرَةِ، سوى الشيء اليَسيرِ بَعدَ الهِجرَةِ، وَاختَصَرِها في يوم الخَندَقِ وغزوة حنين، بِذَريعَةِ أَنَها جُزء مِن فِعلِ الأَنبياء، وَلَيسَ سُلوكٍ بَشَري، فَلا يَحتاجُ لَها لأَنَ مَضامينِها لا يُمكِن أَن يَستَفيدُ مِنها الفِعلُ البِشَري مِن قَبيلِ العِبرَةِ وَالتَجرُبَةِ، بَينَما اهتَم بِفَترَةِ الخُلَفاءِ الراشِدينَ، بِما فيهِم عَهدُ أَبو بَكرٍ الصِديق، وَما تَخَلَلَهُ مِن خُطَطٍ وَتَدابيرٍ قامَ بِها خَالِد بِن الوَليد في مَعارِكِ الرِدَةَ وَفَتحِ بِلادِ فارِس، وأجزاءٍ مِن بِلادِ الشامِ (مسكويه، نفس المصدر، 1/172، 184-190، 194-196؛ صادق، مقصود، نفس المرجع، ص10).

اشتملت روايته عن يوم الخندق، ما جرى من ذكاء وخديعة، حينما طلب رسول الله من نعيم بن مسعود الغطفاني أن يُفسِد تحالف يهود بني قريظة مع قريش وغطفان، وكان له ذلك (مسكويه، 1/171-172)، وأفرد عن معركة حنين رأي دُرَيد بن الصمة، وكان كهلاً وحكيماً وسيداً في قومه بني جشم من هوازن عندما تحالفت مع ثقيف بزعامة مالك بن عوف، بهدف اقتحام مكة بعد أن فتحها رسول الله (مسكويه، 1/173-174)، وأورد النظام الذي ساد عند كتابة الوحي، سيما ترتيب الكُتاب وأدوارهم وأسمائهم، وكُتاب رسائل العُمال والملوك (مسكويه، 1/179)، وهي في مجملها فيها حكمة ودراية ومنفعة، تبين طبيعة القبائل العربية وشيوخها وتحالفاتها، وأسباب النصر أو الهزيمة، وحسن التنظيم والتدبير، وكان هذا بمثابة المنهج المعتاد في مضامين روايات مسكويه.

تجاهل التاريخ النبوي بمجمله، رغم ما فيه من سياسات وتدابير ومنفعة وتجارب، واكتفى بخمس صفحات لفتوحات بلاد الشام (مسكويه، 1/169، 183، 187)، رغم ما فيها من أحداث وأخبار وتجارب إنسانية لا تقل أهميتها عن تلك التي في فتوحات بلاد فارس، وقبل أن يعرض أحداث الشام وبلاد فارس، مر سريعاً على حروب الردة، وأفرد لها خمس صفحات، بينما تعتبر معارك الردة (مسكويه، 1/183)، من أهم الأحداث التي شهدها تاريخ الإسلام، وهي تمثل قمة المبادرة والذكاء السياسي والإداري النابع من القرار الجماعي لكبار الصحابة في المدينة المنورة وعلى رأسهم الخليفة أبو بكر الصديق.

تَوَسَعَ في عرض فتوحات بلاد فارس، وأفرد لها أربع وسبعون صفحة، بل أنه تحدث في التفاصيل والجزئيات، وتفوقت مادته التي عرضها عن فتوحات بلاد فارس عن تلك التي عرضها الطبري، في محتواها، ولم يكرر الروايات كما فعل الطبري، وعرض مسكويه مادة تحليلية كما يراها هو، ومع ذلك لا نستطيع أن نتعرف على مصادره التي جعلته يتميز على الطبري في هذا السياق، سياق بلاد فارس، نتاج غياب سلسة الرواة في عرض مسكويه (مسكويه، 1/192، 267؛ الطبري، تاريخ (الكتاب في مجلد واحد)، ص569، 579، 573، 583، 591، 602).

تكشف رواياته التي عرضها عن فتوحات بلاد فارس، موضوعيته وأمانته في النقل والتحليل، رغم أنه ليس عربي، ونسبه فارسي، لم تتضمن رواياته عن تلك الفتوحات تحيزاً للفارسية أو لأهله وقومه، بل دَوَنَها كمُؤَرِخ أولاً وفيها اعتزاز بحركة الفتوح، وانتصار العرب المسلمين على الفُرس، من خلال جُملة الشواهد، ومن بينها الرسائل التي تبادلها - شهر براز - مع المثنى الشيباني، ومحتوى وصية أبو بكر لعمر قبل وفاته، حينما أوصاه بأن تستمر الفتوحات (مسكويه، 1/192-193)، ولم يدعي أو يتصنع في رواياته حول مشهد عزل خالد بن الوليد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (مسكويه، 1/194).

وَضَعَ عدة عناوين رئيسية وفرعية لمجمل موضوعات كتابه، سيما فتوحات بلاد فارس، وقسمها وفق الموضوعات، رغم أنه حافظ على تتابع الأحداث زمانياً، فكان يضع عنوان لكل حدث مرتبط بفتوحات بلاد فارس، مثل أدوار بعض قادة الفتح أو أسماء الكور والقرى والأرياف والمدن المفتوحة وأسماء المعارك وعناوينٍ لأسماءِ وأدوارِ قادة الفُرس (مسكويه، 1/196، 198، 199، 201، 211، 218، 230)، رغم أن غيره من المؤرخين قد أفردوا عناوين رئيسية وفرعية إلا أنها ليست بتلك الكثافة والتفصيل المُعَبِر عن طبيعة الحدث، وهذا جانب من جوانب تميزه عن سواه (الدينوري، الأخبار الطوال، 1/111، 112، 113؛ ابن خياط، تاريخ، ص65، 66، 67 ؛ اليعقوبي، تاريخ، 1/31، 32، 33).

يَنبُع اهتمام مسكويه بتاريخ بلاد فارس من عدة أسباب، أهمها تلك المرتبطة بمصادره التي حصل عليها من مكتبات بغداد وأصفهان، ومن الطبيعي أن تختص هذه المكتبات بالتاريخ والثقافة والمجتمع الفارسي، ولأن مسكويه هو ابن تلك البيئة التي كانت سائدة في مشرق العالم الإسلامي، ونشأ فيها، وتولى عدة مناصب داخل بلاط بغداد في عهد بنو بويه.

لَم يَتوقف فقط عند ذِكرِ الحَدَثِ وَما جَرى، بَل بَحَثَ في العِلَلِ الَتي أَدَت إِلى حِدوثِهِ وَأَسبابِ ذَلِكَ، وَلِكَي نُوَضِح أُسلوبَهُ في التَعليلِ وَالبَحثِ عَنِ الأَسبابِ، نَذكُر قِصَة استهتار زهرة بن الحوية أحد قادة جيش سعد بن أبي وقاص في القادسية، وخلال فتح موقع بهرسير وقبل دخول المدائن، حينما اعتَدَ بقوته الجسدية، ورفضَ أَن يرتدي ما يقي بِهِ جسده مِن سهام الفُرس، ورفض نصيحة

رفاقه، فأصابه سهماً، وكاد أن يُقتله (مسكويه، تجاب الأمم، 225/1)، فهي رواية من بين عدة روايات خصصها في سياق البحث ن العلل والأسباب.

سلط الضوء على منفعة وعبرة وحكمة، وتدبير تميز به القادة والجُند في ميدان المعركة. عندما وصف نجاح عمر بن الخطاب في إدارة الفتوحات في عدة مواقف، كان من بينها تحرك الجيوش من المدينة المنورة ومن سائر نواحي شبه جزيرة العرب، وكذلك من الشام وفق الحاجة، وبعد تتابع قدوم الأخبار والرسائل من أرض المعركة، أو قبل بدء المعركة، وَرَكَزَ في رواياته على دور الكوفة والبصرة في تعزيز هذا الحَشد، بعد تَعاقُب ورود تعليمات الخليفة (مسكويه، المصدر نفسه، 246/1)، وأشار إلى عدة طرق وأساليب كانت تسهم في مطاولة ومناوشة العدو، وإخراجه من حصونه وقلاعه أو إجباره على أن يجتاز نهراً أو عازلاً، ومن ثم البدء في قتاله، وهذا الذي جرى في مَعرَكَتَي البويب ونهاوند (مسكويه، 202/1-203، 250-251).

كيف تناول تاريخ الفتنة؟

اهتم بتاريخ الفتنة، وكانت كتاباته حول الفتنة واسعة وتفصيلية، وسرد وحلل الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان، ومراحل هذه الفتنة، وما نتج عنها، وأهم الأحداث المؤلمة التي وقعت في عهد علي بن أبي طالب، وصراعه مع بني أمية، أفرد لها جميعها ما يقرب من مائة صفحة (مسكويه، 276/1، 299، 333، 355، 370).

انتقد أسلوب إدارة عثمان بن عفان بشكل تقني وغير لاذِع، وسلط الضوء مراراً على تولي بنو أمية إدارة الولايات في عهد عثمان بن عفان، وأنه لم يستمع لشكوى الرعية، وامتدحت رواياته أبو بكر الصديق في إدارة حروب الردة وطريقة عمر بن الخطاب في إدارة الفتوحات الإسلامية، وذكاء وحكمة علي بن أبي طالب (مسكويه، 275/1-276)، لا نستطيع أن نقول عنه علوي أو شيعي وفق ما أفرده من روايات، لأنه امتدح خلافة أبو بكر وعمر بن الخطاب، وامتدح بطولات صحابة عدة كانت تعتبرهم الشيعة من أتباع بني أمية، لم تحمل رواياته الرائحة الحزبية أو الجهوية، وهذا نتاج بيئة الحرية والتنوع التي عاش فيها والفترة البعيدة زمانياً عن أحداث الفتنة.

رغم أنه رفض في تقديمه للكتاب كل ما هو أساطير أو خرافات وغر واقعي وحقيقي، إلا أنه لم يُنكِر وجود شخص اسمه عبد الله بن سبأ، بل عَظَمَ من شأنه، ومنحهُ قُدُراتٍ خارقة في مصر والعراق والشام، وأنه يقع على عاتقه ما جرى من أحداث الفتنة الأولى التي بدأت بمقل عثمان بن عفان (مسكويه، تجارب الأمم، 277/11-179).

سلط الضوء على الروايات التي فيها قضايا مهمة، سيما تلك التي أغفلها أو تهاون بها عثمان بن عفان ومن بعده علي بن أبي طالب، وأسهمت في ضياع وحدة الأمة، وحلل أسباب تمسك كلاً منهم في رأيه، وبين خطورة المرحلة وما نتج عنها، سيما تلك الأسباب التي دفعت علي لكي يرفض فكرة التسامح مع عُمالِ بني أمية في الأقاليم، وقرار عزلهم، وعدم الانتظار لكي تستقر مؤسسة الخلافة، بينما أجل النظر في موضوع قتلة عثمان بذريعة كثرتهم وتنوع نفوذهم ومناطق سكناهم، مما انعكس على تصاعد الخوف والخشية لدى بني أمية في الشام، ودفعهم ذلك نحو رفض مُبايعة علي بن أبي طالب (مسكويه، المصدر نفسه، 294/1-296)، وأشر إلى واقع المجتمع الإسلامي الذي صعدت فيه الخلافات على السطح، وظهرت فيه عدة مراكز قوة يصعب أن يتم جمع شتاتها (مسكويه، 309/1، 317، 319 . أنظر: جمال جودة، الخلافة في صدر الاسلام، ص61، 62، 63)، وأنا أتفحص رواياته لَمَستُ نَفس رَجُلِ الدَولة، ولم أجد أياً من الدلائل الحزبية والطائفية.

ساندت رواياته موقف علي في يوم الجمل، وانتقدت خروج عائشة والزبير وطلحة، وبينت طبيعة هوى أهل البصرة، بما فيهم من تأييد لعائشة والزبير وطلحة، على عكس أهل الكوفة الذين عُرِفوا بتشيعهم لعلي بن أبي طالب (مسكويه، 322/1-325).

اعتَبَرَ الكثير من سلوك معاوية بن أبي سفيان بأنه مكيدة، بهدف إضعاف علي بن أبي طالب وتأليب الناس عليه، ومثل ذلك محاولة إضعاف علاقة قيس بن سعد بن عبادة والي مصر بأمير المؤمنين علي بن أبي طلب (مسكويه، 326/1-327)، رغم ميوله إلى علي بن أبي طالب، إلا أن هذا الميول قد تناغم مع توجهات رجل الدولة، وهذا كان حاله مع دولة بنو أمية، لأنه قد وضع لنفسه قواعد وركائز انطلق من خلالها عند البدء في تدوين كتابه، وهو استخلاص العبر والعضاة والتدابير والإجراءات والسياسات والعواقب والعدل، وأسبابِ استقرار الدول، وفي هذا السياق عَرَض ما تميز به بعض رجالات الدولة الأموية من دهاء، ومن بينهم المغيرة بن شعبة، وامتداح معاوية، سيما خلال تدبيره بعض الأمور التي فيها منفعة للدولة، رغم وضوح ميوله العلوية إلا أنه كان معجباً بذكاء وفطنة وَحَزم وتدبير معاوية بن أبي سفيان وعماله (مسكويه، تجارب الأمم، 3/2، 4، 5، 6).

كيف تناول التاريخ العباسي؟، سيما البويهي.

ذاتِ الأَمرِ تَطَرَقَ لَهُ حينَما بَحَثَ في العِلَلِ الَتي دَفَعَتهُ لِلتَخَلُصِ مِن جَماعَةِ الروَنديَةِ مِمَن كَانَ لَهُم دَوراً في انتِصارِ الدَعوَةِ العَباسِيَةِ في بِلادِ فارِسِ، وَأسبابِ ما جَرى لأَبو مُسلمِ الخَرَساني، وَتَمَ الغَدرُ بِهِ وَقَتلِه، وَتَحَدَث مِسكَويه بِعُمقٍ، وَبَيَنَ العِلَلَ الَتي دَفَعَت خُلَفاءَ آلِ العَباس لِلتَخَلُصِ مِن هَذِهِ الفِئاتِ وَالشَخصِياتِ، وَاختَزَلَ ذَلِكَ بِالخَشيَةِ عَلى وِحدَةِ الدَولَةِ، وَاستِقرارِها، وَخَوفاً مِن وِجودِ مَراكِزاً لِلقُوى الَتي قَد تَتَنافَس عَلى مَنصِبِ الخَليفَة، بِذَريعَةِ أَنَ لَها الدَور وَالفَضلِ الكَبير وَالتَضحِياتِ الَتي أَسهَمَت في انتِصارِ الدَعوَةِ العَباسِيَةِ (مسكويه، المصدر نفسه، 94/3).

توقف في كتابه عند أحداث عام 369هـ / 980م، وهي لم تُشكِل سوى ثلث العهد البويهي (932-1056م / 320-448هـ)، رغم أنه عاش بعد هذا التاريخ فترة طويلة (ت412هـ/1021م)، وعُمرهُ يقرب من عُمر هذه الدولة، وكانت ذاكرته وصحته جيدة خلال الفترة التي تَلَت عام 369م، ولا نستطيع أن نتعرف على الأسباب التي دفعته لكي يتوقف خلال تدوين كتابه عند هذا التاريخ، إلا من خلال التَعَرُف على وظيفته وطبيعة عمله، وموقفه تجاه حُكام بلاط الأسرة البويهية.

عَمِلَ لدى أمراء وملوك بنو بويه*[1]، وَوُصِفَ بالخازن والنديم، كانت ذروة حضوره الفاعل في أروقة قصور بنو بويه منذ عام 340هـ/952م (الثعالبي، تتمة الدهر، ج5، 115-119، ص28-29)، وحيث كان خازناً (أمين) لمكتبة بنو بويه في بغداد والري بين أعوام 353-360هـ/ 954-1055م (أركون، مرجع سابق، ص259)، وَعَمِلَ مُدَة اثنا عَشَر عاماً سَكرتيراً لأَراضي الخَراج في خِدمَة الوَزير المُهَلَبي (ت352هـ/963م) بَينَ أَعوامِ 340هـ-352هـ/952-963م، وَكانَ المُهَلَبي وَزيراً لمُعز الدَولَة البوَيهي في بَغدادَ (مسكويه، تجارب الأمم، 123/2؛ البدوي، مرجع سابق)، وَتَمَيَزَ هَذا الوَزير بِدَعمِهِ لِلعِلمِ والأَدَبِ إلى جانِبِ قَضاءِ جُزءاً مِن وَقتِه في السَهَرِ وَالسَمَرِ وَالمُجون بِصُحبَةِ أَركانِ دَولَته، وَكان مِن بَينَهُم القاضي التَنوخي، أَن هذِهِ الأَجواء داخِل القَصر استَغَلَها مِسكَويه في العِلمِ والمُطالَعة (الثعالبي، مرجع سابق، 335/2-336)، كانَ في حينِهِ المُهَلَبي وَزيراً لدى مُعزِ الدَولَةِ البويهية في بَغدادَ.

عَمِلَ أَميناً لِمَكتَبَة الأَديب أَبي الفَضل بِن العَميد بَينَ أَعوامِ 353-360هـ (الحمودي، مرجع سابق، ص494؛ البدوي، 1963، ص469)، وَكانَ قَد امتَدَحَ أَبي الفَضل وأَثنى عَلَيهِ وَوَجَدَ ضالَتَهُ فيه، نِتاج تِلكَ المَيزات الَتي لَم يَجِدها في

(1)* بنو بويه: دامت سلطتهم في بغداد بين أعوام 320-448هـ/ 932-1055م، في عهد خلفاء بنو العباس المستكفي والمطيع والطائع والقادر والقائم، استبد بنو بويه بالسلطة، وحددوا صلاحيات الخليفة في أمور الدين، بينما تولوا الشأن العام، وأداروا البلاد، وكان من أشهرهم عضد الدولة وبهاء الدولة ومعز الدولة، وهم قبائل الديلم، وأسرة بنو بويه كما باقي الديلم كانت يزيدية المذهب، وتعود أصولها من العرب ممن سكنوا جنوب بحر قزوين.

أُمَراءِ مِثلَ مُعِزِ الدَولَة وَرُكنِ الدَولَة (مسكويه، التجارب، 2/353-360)، وَابنِ العَميد هوَ وَزيرُ رُكنِ الدَولةِ البُوَيهي (ت354هـ/970م) حاكِم مَدينَةِ رَي، وَكانَ ابنُ العَميد وَزيرَهُ في بَغدادَ، وَمَكَثَ مِسكَويه مَع ابنُ العَميد في حِدود سَبع سَنوات، عَمِلَ فيها مَسؤولاً لِمَكتَبَتِهِ، وَخازِناً لَها، وَمُعَلِماً لابنِه أَبي الفَتح (مسكويه، التجارب، 2/276)، وَعايَشَ نَمَط جَديد وَمُمَيَز مِن الإدارةِ خِلال عِمَلِهِ مَع ابنُ العَميد، جَمَعَ فيهِ بَينَ الجِدِ وَالهَزل، وَتَغَلَبَ فيهِ الفِكر على اللَهو، بِعَكسِ عَهدِ المُهَلَبي (مسكويه، التجارب، 2/272).

وَبَعدَ وَفاةِ أَبي الفَضلِ (360هـ/976م) عَمِلَ في خِدمَةِ أبنهِ أَبي الفَتح بِن العَميد بِين أَعوام 360-366هـ، لَكِنَهُ لَم يَستَمِر في خِدمَتِهِ طَويلاً، وَعابَ فيهِ عَدمِ اهتمامَهُ بالعِلمِ والآدابِ، إِلى جانِبِ تَوَجهَهُ نَحو إِرضاءِ الجُند، والإنفاقِ على قَادَتَهِم، لِكَي تَدومَ سُلطَتِه (أركون، مرجع سابق، ص259).

وَعَمِلَ خازناً لِلمَلِك عَضُد الدَولة البُويهي بَينَ أَعوامِ (366-372هـ)، ونالَ حظوَة في بَلاطِهِ، وَكانَ مأموناً لدى عَضُدِ الدَولة (ت372هـ/983م) (القطفي، مرجع سابق، ص217)، واعتادَ مِسكاويه زِيارة المُستشفى العَضُدي الَذي أَسَسَهُ عَضُد الدَولة (أركون، مرجع سابق)، وَكَلَفَهُ بِجَمعِ كُنوزِ قَلعَةِ أَردِ مِشت، وَشارَكَهُ في بَعضِ غَزواتِه (مسكويه، مرجع سابق، 2/291،272)، وَذَكَرَهُ هذِهِ المَرة مَع الفَلاسِفة الجادِينَ وَغَير الفاسِدينَ (التوحيدي، مرجع سابق، ج1، 48).

غادَرَ مَسكَويه الري وبغداد بَعدَ وَفاة عَضُد الدَولة بِن رُكنِ الدَولةِ البُوَيهي عام 372هـ/983م، نِتاجِ عَلاقَتَهُ المُتَوَتِرة مَع الصاحِب بِن عَباد، وَلَم يَزُرها حَتى عام 385هـ/996م، وَلَم يَتَوَلى مَناصِبها بَعدَ العاضِد، وَعَزَفَ عَنها في عَهدِ صَمصامِ الدَولَة وَبَهاءِ الدَولَة (مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص165-166).

تُشير هذه الأدوار التي تقلدها إلى قوة علاقته بالأسرة البويهية، وكان بمثابة موظف رفيع المُستوى يمتلك الكثير من الأسرار وَمُطَلِع على الكثير من الأحداث، وأنه تمتع بعلاقة جيدة مع عضد الدولة، وأتيح له هامشاً من الحُرية أثناء الكتابة عن تاريخ هذه الأُسرة، وكانَ قَد كَلَفَهُ عَضُد الدولَةِ قَبل وَفاتِهِ (371هـ/982م) بِتأليفِ كِتابِ "تَجارُبِ الأُمَمِ وَتَعاقُبِ الهِمَمِ"، وَأَكمَلَهُ بَعدَ وَفاة العاضِد عامِ 372هـ/983م، كَتَبَهُ بِحُريَةٍ واضِحة، وَتَحَدَثَ فيهِ عَن فَتَراتٍ تاريخيَةٍ عِدة في تاريخ الأسرة البويهية، وَتَحَدَثَ عَن أُمَراءِ البَيتِ البوَيهي، وَتَوَقَف عِندَ تاريخِ عام 369هـ (مسكويه، تجارب الأمم، 1/53).

لم يَكتُب عن المواقع والأحداث التي جرت في الأشهر القليلة التي كانت متبقية من عُمر العاضد، لربما احتراماً له أو لحاجة في نفسه مرتبطة بأحداث الدولة وأسرار البلاط، وربما هي من دفعته لكي يغادر البلاط البويهي، إلا أنه لم يُفصِح عنها، كان بِمَقدورِهِ أَن يتحدث عن تاريخ الدولة العباسة بعد هذا التاريخ، ويبدو أنه اختار السلامة حتى لا يتعرض لمكائد الحُكام والوزراء بعد العاضد، سيما في عهد صمصام الدولة، ولربما لَم يَكتُب بذريعة أنه لم يعايشها مباشرة، وبحكم أنه لم يتقلد أياً مِنَ المناصب بعد عهد العاضد.

أَبدَعَ في تاريخِ بَغدادِ وتاريخ بلاد فارس (إيران)، وَعَن الفَترَةِ الَتي عايَشها، رَكَزَ عَلى القَادَةِ البوَيهيينَ وَوُزرائِهِم، لَم يَذكُر بيزَنطة وَالحَمَدانِيينَ، سِيَما الأَقاليم الغَربيَةِ، إِلا بِما هُوَ مُرتَبِط بِالرَي وَبَغداد، وَكُلَما اقتَرَب في كِتابِ تَجارُبِ الأُمَمِ نَحو عَصرِه كانَت تَتَقَلَص الأَحداث المُرتَبِطة بِالجُغرافيا البَعيدَة، لِصالِح مَركِز الدَولَةِ وَيقتَرِب لِلفِكرَةِ التَقَنيَةِ لِلأَحداثِ (أركون، نزعة الأنسنة، 231-233).

رُغمَ عَلاقَتِهِ بآلِ بُوَيه، وَتَوَلِيهِ عِدَةِ مَناصِبِ خِلالَ مُجمَلِ المَراحِلِ الَتي مَرَت بِها دَولَتَهُم، إِلا أَن موضوعاته التاريخيَةِ الَتي تَخُصُ آلِ بوَيه وُصِفَت بِالمَوضوعِيَةِ، مما يمنح كتابه تجارب الأمم المزيد مِنَ الأهمية. فَأَظهَرَ مَحاسِنَ وَمَساوِئَ وَشجاعَة وَهزائِم سَيفِ الدَولَة (مسكويه، مرجع سابق، 5/253، 255، 256)، وسوء سيرة أبو الفتح بن العميد والتي انتهت بالقبض عليه وقتله عام 365م، وكان يرى أن هذه الرواية فيها تجربة ومنفعة قد يتكرر مثلها، ولذلك دونها في كتابه (مسكويه، تجارب الأمم، 5/419)، وَكذلك تحدث عن فَضائِح بَعضِ الشَخصِياتِ وَمَفسَدَةِ الأَخلاقِ وَالكثير مِنَ المَناظِر المُفزِعَة في الفترات التي سبقت بنو بويه، مِثل قَتلَ زَيد بِن عَلي (75-95هـ/695-715م) في وِلايَةِ هِشام بِن عَبدِ المَلِك، وَمَشهَد حَزِ رَأسِهِ وَرَميهِ في حُفرَةٍ (مسكويه، المصدر نفسه، 2/443-446).

تُشير طريقة مسكويه في الكتابة إلى دَورَ وَمَهارَةَ مُوَظَفِ دَولَةٍ مِنَ الطِرازِ الرَفيعِ، مُتقِناً لآدابِ القُصورِ، وَمُخالَطَةِ الطَبَقَةِ الأرِستُقراطيَةِ، يَحمِل فِكر الدَولَةِ وَيُدافِع عَنها، يُتقِن التَنَقُل بَينَ أُمَراءِ آل بُوَيهِ، وَلا يَترُك ما يُثيرُ غَضَب أَربابِ عَمَلِه، حَاذِقاً وَلَماحاً، وَيَعلَم ما يُقال وَمالا يُقال، يُعَبِر عَن تِلكَ الدَولَةِ في مُؤَلَفاتِهِ التاريخية والفِكرِيَةِ والدينيَةِ والأَخلاقيَةِ، تِلكَ الدَولَةِ التَي حافَظَت على حالَة مِن شبه الحيادِ المَذهَبي والعِرقي والطائِفي، وعُرِفَت شَخصِيَتَهُ في حينه بفَوقَ المَذهَبيةَ.

الاستِنتاجاتِ (الخاتِمة)

لم يهتم بالإسناد، وكان يختصر الرواية، ويقدمها بشكل تحليلي، وكأنه يبدي فيها رأيه أو ما يراه متفقاً مع القواعد العامة التي انطلق منها، ولم يتوسع في ذكر مصادره، ويؤمن بالحاجة العقلية التي اختصرها بالقواعد العامة التي انطلق منها، وهي أن يكتب من الأخبار والأحداث ما فيه تدبيراً وحكمة وسياسة ورأي وجيه ومنفعة عامة، وَكانَ العَقل هوَ المِعيار الأَول لِلحُكمِ عَلى الأَحداثِ والأَشياءِ، وَلِذلِكَ نَجدَهُ مُلتَزِماً بِالحِيادِ وَالمَوضوعِيَةِ.

لم يقع في الحزبية والطائفية، ولم تظهر عليه ميول علوية أو أموية أو سواها، لأنه انحاز إلى الدولة والحفاظ عليها، وكانت تحكمه في ذلك المبادئ العامة التي وضعها.

اهتم بضَرورَةِ إعمال العقل في المسائل الدينية، من قبيل تحييد المعجزات والعجائب والخرافات، نِتاج عَدَم أهميتها على صعيد الفعل البشري والفائدة والعبرة والتجربة، ولا يؤمن بالتصورات المسبقة، ويأخذ على محمل الجد تلك الأشياء التي هي محل ثقة الناس.

اهتَم بالإنسان، واعتَبَرَهُ مِحور هَذِهِ الحَياة، لِذَلِكَ حَاوَل أَن يُقَدِم نَصائِحَهُ لِلَفرد وَلِلحُكام، وَيُبَين فيها أسس التَعامُل الصَحيح، وتلك التي تؤدي لاتخاذ تدابير وسياسات صائبة، وَكل ما يَتَناسَب مَع مَصلَحَةِ المُجتَمَع.

رَكَزَ على أَهَميَة تَنميَة الفُضول العِلمي وَالذَوق النَقدي، وتَنظيم المَعرِفة تَنظيماً جَديداً في تَطَوُرِ النَقد التاريخي، حَيثُ نَرى ذَلِكَ في كتابه تجارب الأمم، حيث تَمَيَزَ فيه عَلى سِواها مِنَ الأَنماط التَقليدية في مَصادِرِها وَطَرائِقِ التَحليل وَالفَهم وَالتَدوين وَالتَبويب وَالتَصنيف.

يطرح ما يراه مثمراً، لا يكتب للتشويق، يقدم حِكَم حول الأحداث، يقدم نصائح لرجال الدولة والمثقفين، واهتم في أن يقدم العِبَر والحيل وَضَرَب الأمثلة حول ذلك، يهتم في تطور الإدراك والوعي التاريخي، ومضطرب في ذكر السنوات أو ترتيبها، واهتم بالتجارب الدنيوية.

لم يذكر شيئاً عن نشأة الخليقة، ابتدأ كتابه بذكر تاريخ دولة الفيشداذين الفارسية، واهتم بالثقافة الفارسية، لم يتوسع في تاريخ صدر الإسلام إلا بما هو مرتبط بتاريخ بلاد فارس، واهتم بتاريخ الرُسل والملوك، لم يذكر شيئاً عن معجزات وسياسات الأنبياء، لذلك اكتفى في العصر النبوي بذكر غزوتي حنين والخندق، وتوسع في العهد الراشدي نوعاً ما، سيما حروب الردة، وبعض الشيء عن فتح بلاد الشام بما يخدم تاريخ بغداد وبلاد فارس، وتوسع في موضوع فتح بلاد فارس كثيراً، بل تميز في موضوع فتوحات بلاد فارس عن سواه، واهتم بكل ما له علاقة ببغداد والدولة البويهية إلى غاية تاريخ 369هـ.

تُسَلِط رواياته الضوء عَلى أُسرَةِ بَنو بُوَيه من خلال نُضوجِ نُخبَتِها الأُرستُقراطية، والظُروفِ الَتي أَدَت إِلى حُدوثِ ذَلِكَ، سيما أَهَمِيَةِ تَنَوُعِ المُجتَمِع وَالنُخبَةِ المُتَعَلِمَة وَأَجواءِ الحُرياتِ العَامَة وَطَبيعَةِ النُخبَةِ الحاكِمَة في نَشأَة جَوانِب وَاسِعَة مِن الفَلسَفَة في عَهد بَنو بُوَيه في بغداد والري وأصفهان.

تُولي مُؤَلَفاتِ مِسكَويه الاهِتمام بِالمَشاكِل، سيما بتلك العَقليّة ذات الطابع السياسي، مِن خِلال تَسليطِ الضُوءِ عَلى الكَثير مِن التَدابير وَالحُلولِ وَالمواقِف الَتي تُعتَبَر تَجارُب فيها عِبَر وَمَوعِظَة، حَصَلَت في الماضي، وَيَتَكَرَر حُدوثِها في المُستُقبَل، نَتيجَة تَشابُه مِثل هَذِهِ الأَحداثِ عَبر التاريخ الإِنساني.

بَرَزَت شَخصِيَة مِسكَويه في كتابه التجارب مِن خِلال طَبيعَة الحَياةِ الَتي عَاشَها، لأَنَ الحَياةِ الخَاصَةِ لِلإِنسانِ لَها بالِغ الأَثَر عَلى فِكرِه وَتَوَجُهاتِه، وَيُقصَد بِحَياتِهِ الخَاصة، نَمَط تَربِيَتهُ ووظيفته وَالأَيديولوجيا الَتي يُؤمِن بِها وَالدين وَالمَذهَب وَالعِرق وَنَمَط العَمَل وَالأُسرَةِ وَالأَقران.

بيانات الإفصاح

- **الموافقة الأخلاقية والموافقة على المشاركة:** لا ينطبق.
- **توافر البيانات والمواد:** متوفرة
- **تضارب المصالح:** لا يوجد تضارب
- **التمويل:** لا يوجد تمويل
- **مساهمة المؤلفين:** قام الباحث ممدوح غالب بري باختيار العنوان، وجمع المصادر، وتفريغ البيانات، وتحليل محتواها، وصياغتها، وقام الباحث عدنان محمد ملحم بضبط العنوان، وإعادة ترتيب محتوى البحث، ومراجعته، وتدقيقه.
- **الشكر والتقدير:** موصول إلى الأكاديمي المعطاء د. عدنان ملحم، والاداري الصادق د. لؤي أبو السعود من جامعة النجاح الوطنية (www.najah.edu)

Open Access

This article is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License, which permits use, sharing, adaptation, distribution and reproduction in any medium or format, as long as you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons licence, and indicate if changes were made. The images or other third party material in this article are included in the article's Creative Commons licence, unless indicated otherwise in a credit line to the material. If material is not included in the article's Creative Commons licence and your intended use is not permitted by statutory regulation or exceeds the permitted use, you will need to obtain permission directly from the copyright holder. To view a copy of this license, visit https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

References

- Salem, Abdel Aziz. (1999). *History and Historians*, Dar Al-Nahda Al-Arabi.
- Hamid, Aisha. (2022). *Trends in annual historical blogging among Muslims: Ibn Miskawayh 421 AH/1030 AD as a model*, Basra Center for Research, Consultation and Educational Services, 10(2). University of Laghouat.
- Al-Dinuri. (282 AH / 895 AD). Abu Hanifa Ahmad bin Daoud, "Al-Akhbar Al-Tawal", (1). authenticated and edited by: Muhammad Saeed Al-Rafi', Al-Azhar Library, Cairo, Egypt. 1st edition, 1330 AH / 1914 AD. 111-140.
- Al-Hamawi, Yaqut. (d. 626 AH/1229 AD), *Irshad al-Arab to Know the Writer*, edited by: Ihsan Abbas, Part One, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, Lebanon. 1st edition, 1993 AD.
- Al-Hamawi, Yaqut. (d. 626 AH/1229 AD). *Mu'jam al-Buldan*, 7 parts, Dar Sader, Beirut, 2nd edition, 1995 AD.
- Al-Maqdisi, Shams al-Din Abu Abdullah. (d. 380 AH/950 AD), *Ahsan al-Taqasim fi Ma'rifat al-Aqlim*, 3rd edition, Madbouly Library, Cairo, 1991 AD.
- Al-Qatfi, Jamal al-Din Abi al-Hasan Ali bin al-Qadi al-Ashraf Yusuf. (d. 646 AH/1248 AD). *News of the Scholars and News of the Wise Men*, printed in 1326 AH, at the expense of Ahmed al-Jamali and Muhammad Amin al-Kutbi - Khedive Book House - Egypt, Al-Saada Press.
- Al-Tabari. (310 AH / 922 AD). Abu Jaafar Muhammad bin Jarir Al-Tabari, *"The History of Nations and Kings", taken care of by Abu Suhaib Al-Karmi*, House of International Ideas, Amman, Jordan. (D. I.), (D. T.). 569 - 617.
- Al-Tawhidi, Abu Hayyan. (d. 414 AH / 1023 AD). *Enjoyment and Sociability*, Modern Library, Sidon, Lebanon, reviewed by: Haitham Al-Tuaimi, 2011 AD.
- Al-Yaqubi. (d. 292 AH / 904 AD*). Ahmad bin Abi Yaqoub bin Jaafar bin Wahb, the writer known as Ibn Wadh Al-Akhbari, "The History of Al-Yaqubi",* verified by: Abd al-Amir Muhanna, vol. 2, Al-Alami Publications Company, Beirut, Lebanon. 1st edition, 1431/2010 AD, 30-49.
- Khalidi, Anwar. (2009). The Methodology of Historical Writing in the Fourth Century AH and the Tenth Century AD: Ibn al-Atheer as a Model. *Al-Manar Magazine. 15*(1).
- Fahd, Arif Abd. (2019). *Baghdad in the Experiences of Nations by the philosopher Miskawayh*, Al-Mustansiriya University, Baghdad.
- Al-Qaisi, Atef Abbas Jodi. (2002). Miskawayh's Historical Thought, *Journal of Arts*, (62). University of Baghdad. Baghdad.
- Ayyash, H. (2009). "AL-Ahdath" Movements in Damascus during the Fatimid Govern 359-468AH. / 969-1075AD. *An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), 23*(2), 379–400. https://doi.org/10.35552/0247-023-002-003
- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman. (d. 808 AH/1406 AD), *Introduction*, Intana Ahmad al-Zaghli, Dar al-Arqam Company, Beirut, 2001 AD.
- Ibn Khallikan, Shams al-Din. (d. 608-681 AH / 1282 AD), *Deaths of Notables and News of the Sons of the Time*, 10 volumes, edited by: Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut.
- Juda, J. (2003). The Caliphate in Early Islam (A Study in Political and Religious Thinking and its Development in the Islamic State During the Initial Phase of Foundation). *An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), 18*(1), 51–82. https://doi.org/10.35552/0247-018-001-004
- Maqsoud Ali Sadiqi, (2004). Methodology of Historical Books and Political Thought, Center for Strategic Studies - Islamic University, *Al-Thaqafa Magazine (61)*.
- Miskawayh, Abu Ali Ahmad bin Muhammad bin Yaqoub Miskawayh. (421 AH/1030 AD). *Experiences of Nations and the Succession of Determinations*, 6 volumes, edited by: Sayyid Kasravi Hassan, Muhammad Ali Baydoun Publications, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon. 1st edition, 2003 AD.
- Al-Amin, Mohsen. (d. 1373 AH / 1952 AD). *Shiite notables*, verified and directed by: Hassan Al-Amin, 10 volumes, Dar Al-Ta'arof for Information, Beirut, 1983 AD.
- Arkoun, Muhammad. (1972). Contribution to the Writing of Arab Humanities in the Fourth Century AH: Miskawayh the Philosopher and Historian, (9).
- Arkoun, Muhammad. (1983). *The Tendency of Sunnism in Arab Thought: The Generation of Miskawayh and Al-Tawhidi*, translated by: Hashim Saleh. Dar Mustafa, Mahmoud, Ijam Al-Alam, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
- Qwaider, Bashar. (1993). *Curricula and Schools of Islamic History*, Dar Al-Wa'i, 1st edition, Algeria.
- Günther, Sebastian. & Al-Jamouhi, Yasser. The philosopher and historian Miskawayh between reception and interpretation in light of moral and educational discourse, *Perspectives Magazine*.